

رسالة معايي السيد وزير الداخلية والجماعات المحلية والتهيئة العمرانية

بمناسبة إحياء الذكرى 74 ل المجازر الثامن ماي 1945

- السيدات والسادة الولاية والولاة المنتدبون،
- السيدات والسادة منتخبين وإطارات الإدارية الإقليمية،
- كل المخلصين من أبناء هذا الوطن من عاملات وعمال الإدارة المحلية الذين يحفظون العهد ويرعون أساسات دولتنا المترامية الأطراف،

إننا نحتفل اليوم بالذكرى الأربع والسبعين للمجازر الأليمة التي اقترفها الاستعمار الغاشم ضد شعبنا ذات الثامن ماي 1945، صور مريرة من القتل الهمجي لمواطنين عزل، تفنت في تنوعها أياد آثمة مجرمة ناقمة على البشر والحجر.

إن صرخ أبناء شعبنا انطلق مدويا في ضمائر مستدرمر كان يتذهب لإحياء نصر تليد في حرب عالمية ضروس أتت على الأخضر واليابس.

في نفس هاته اللحظة التاريخية الفارقة، أنكر المستعمر على شعبنا الأبي خروجه للمطالبة بتنفيذ عهود قدمت، وراح يقمعه بجنون إجرامي هستيري، ستضل معالمه التاريخية ماثلة في ذكريات الأجيال المتعاقبة.

إن هاته المجازر على الرغم من التضحيات الجسام التي رافقتها إلا أنها عبدت الطريق نحو حركة وطنية استقلالية لا يساورها شك بأنه عليها أن تنتزع استقلال الجزائر انتزاعا، وكانت بمثابة النفس الجديد لثالوث مقدس، ثالوث الشعب، الحركة الوطنية والمقاومة المسلحة.

ثالثون كان في أصل توجهنا نحو النواة الأولى للدولة الوطنية الونوفمبرية تسع سنوات فيما بعد، لذلك فمن واجبنا جميعاً أن نعطي لهذا اليوم حقه وأن لا ندخر أي جهد في ترسيخته في ذاكرة شعبنا.

إن تاريخنا سلسلة متربطة بالأوصال لا يمكن فك أحدها عن الآخر، فنوفمبر تغدت من مجازر الثامن ماي، وانتفاضة الثامن ماي تغدت من روح الحركة الوطنية التعددية الغنية بمشاربها، وكانت باديسية في روحانيتها، نهضوية في تفاعಲها مع تطورات الممارسة الحزبية الديمقراطية، واجتماعية عمالية في نضالاتها اليسارية، وبالأخص وطنية في امتداداتها الجغرافية والسياسية.

فسيفسae الماضي هي من كانت بعد عدة عقود من الاستقلال فسيفساء الحاضر السياسي والحزبي، وهو أمر ليس بالغريب، فكما أن الحركة الوطنية استقت مشاربها من المقاومات الشعبية المتتالية في شرق البلاد وغربه وفي شماله وجنوبه، فهاهي تستقي مرجعياتها من نفس الحركات الوطنية التي كان لها الفضل في تحرير البلاد من أعتى القوى الاستبدامية.

ينحو الكثير للتقليل من شأن النير الاستعماري الذي فرض على بلادنا، فتقارنه بغيره من الظواهر الاستعمارية، إلا أنه لا يختلف اثنان من المؤرخين والعارفين في أن الجزائر كانت ضحية مؤامرة استبدامية شاملة استهدفت الروح البشرية قبل الأرض، لم يسلم منها العرض، ولا العقل، ولا الدين ولا اللغة، ولا حتى الملبس والمشرب والمرقد.

عمل تدميري ممنهج ومتكملاً امتد عبر قرن كامل من الزمن واثني وثلاثين سنة شاملـاً ما يقارب تسع أجيال كاملـة.

على الرغم من ذلك، بقي ثائر الفاتح من نوفمبر 1954 متشبثاً ومتواصلاً مع بطولات أسلافه من دايات وبائيات الجزائر المدافعة عن أسوار مدنها، مروراً ببطولات الأمير عبد القادر، والحداد والمقراني والزعاطشة وأولاد سيدي الشيخ، ولalla فاطمة نسومر، ومقاومة الطوارق الباسلة في الجنوب وغيرها من البطولات التي عمـت كل التراب الوطني.

نفس المنحى الثوري ميز جزائر بعد الاستقلال، فنفس هذا الشعب الأبي هو من انتفض للتحول نحو التعددية السياسية وتحرير المبادرة الاقتصادية وهو من انتفض ضد العنف والتطرف وعرف كيف يضمد جراحه ويلملم شتاته ويجعل من مأساته درسا لا ينسى في تاريخ البلاد المعاصر، وهو من رفض طمس معالم هويته الوطنية بكل أبعادها وحقق لنفسه وللبلاد الانجاز تلو الآخر، جاعلا من عناصر هويته مصدر ثراء وتنوع عوض أن تكون مصدر نزاع وشقاق.

إن ما مر علينا الكثير، وهو ما يدل على أن هذا الشعب من معدن خالص، لا يحول ولا يزول لا تزيده النار إلا نصاعة، ثورته بل ثوراته عبر التاريخ كانت كلها متميزة متفردة، ألمت الكثيرين ولا تزال، عنوانها الوحدة المتتجدد هو الاستقلال والتحرر.

إنني إذ أذكر في رسالتي هذه بدللات هذا اليوم الأغر، فذلك إيمانا مني بأن لكم الدور الرئيس في الحفاظ على هذه الذاكرة، وعلى هذه الروح في نفوس أبناء هذا الوطن المفدى.

إن الحراك الشعبي الأخير أيقض جذوة الوطنية في نفوس شبابنا ولو أنها لم تنطفئ يوما، ووضعها في قلب اهتماماته وكيانه، إننا نعيش نسمات الحرية في تناغم تام بين مختلف فئات الشعب الواحد وجيشنا الوطني الشعبي.

اليوم واجبنا جميعا، هو أن نتذكر ونذكر بالامتدادات التاريخية لهذا التلاحم الذي أبهر العالم وملاحظيه، وفي لحظة راهن فيها الكثير على الفرقة والخلاف، والسقوط في هوة العنف والصراع، هاهو الشعب وجيشه يقدمان للعالم نموذجا عن رص الصدوف والتعاون من أجل تجاوز كل المؤامرات، حتى أنه لم يجد متحينوا الفرص أي فجوة في هذا الجدار المتنين لينفذوا منها، جدار الحرية الوطنية المسؤولة.

فلا الجهوية أجدت، ولا النعرات العرقية والدينية، ولا الإشاعات المغرضة والدسائس ولا حتى التحاليل المنمقة التي تضرب بالغيب، كانت كفيلة بتبني همة هذا الشعب ودفعه نحو الفراغ.

إن الظلمة والفراغ هو ما تفضله هاته الدوائر لأنه المتسع الوحيد الذي يمكنها الانفراد فيه بالإرادة الشعبية وتحويتها بما يخدم مصالح فئة دون فئة، فالنسبة للكثير منها إنها الفرصة لتقاسم الغنائم السياسية في حين لا يتوق المواطن إلا أن يضع البلاد على المسار الصحيح.

إن الحفاظ على هاته اللحمة وهذا الفيض الجارف من المشاعر الوطنية واجبكم الأول على المستوى المحلي، وبفضل هذه الديناميكية الجديدة سيكون للمشاركة السياسية للمواطن وللديمقراطية التشاركية كل مدلولاتها على المستوى المحلي وستسهم في تحسين حال ساكنتنا.

إننا نؤمن بأن تلامِم المواطنين مع مؤسسات الدولة عبر الحوار البناء والمتوافق، والمشاركة الفعلية والفعالة، هما السبيل الوحيد لتعزيز الثقة ورأب الصدع.

إن ثمين هذه الديناميكية الجديدة عمل جماعي وصرح وطني آخر علينا جميعاً تشييده، حقيقة ستعرّضنا الكثير من الصعب لاسيما جراء بعض الشكوك والارتيابات، لكن بإخلاص النية ومد اليد للجميع، والإصغاء لانشغالات الساكنة والتموقع بقربها، سنجاوز جميعاً كل الصعاب، وما يبدو اليوم مستحيلاً سيكون غداً ممكناً.

إن هذا الواجب، في هذا الظرف الدقيق، لا يقل أهمية عن الذود عن الذود عن البلاد ضد العدو، فنحن مطالبين برفع كل التحديات ومجابهة كل الرهانات في نفس الوقت والتعامل مع دوائر مستترة ومناورات لا نعلم كنها ولا مرآميها.

إن الجيش الشعبي الوطني قيادة وأفراداً، يقوم بواجبه كاملاً، موافياً غير مقصراً، لا يدخل أي جهد لا في حماية الحدود ومواجهة التحديات في الجوار، ولا في تفكيك ألغام الداخل التي يزرعها يومياً العديد للنيل من وحدة شعبنا وألفته مع جيشه.

إن له منا كل الاحترام والتقدير، وأحسن طريقة نعبر له فيها عن تقديرنا واحترامنا هو أن نكون محلياً ووطنياً على أقصى درجات التجنيد من أجل تسخير

هذا الظرف الدقيق والسماح لشعبنا من تحقيق التغيير الذي لطالما كان يصبو إليه.

إننا نتعامل اليوم مع شعب واع برهانات الوضع وتحدياته، يتشكل من نخبة شابة مثقفة مطلعة على ما يجري في العالم، متمرسة ومتمكنة في مختلف الأصعدة، ومن الضروري أن تتبوا مكانتها كاملة في بناء جزائر الغد.

إنهم شباب يتلحف الوطنية وحب الجزائر كما يتلحف الرأية الوطنية في أيامنا هذه، يجمع بين إنجازات عهد الاستقلال ورموز تاريخه المجيد ففي أحلك الأوقات وأكبر الأزمات يلجأ لمعين تاريخه المجيد من أجل أن يستقي معالم طريقه وهو ما أنتم تشهدونه اليوم:

- يرفض المؤامرات الخارجية والدسائس ويقطع الطريق أمامها، غيورا على استقلاله فيجد في المجاهد الأننس والاستدلال؛
- يرفض الخوض في متأهات العنف والتطرف فيرابط عند أسوار حصن السلمية بشكل مبهر؛
- يرفض التبعية لأجناد خاصة وفتوية بالبقاء على مطالبها الموحدة والموحدة.

إنه كله على كلمة رجل واحد في شرق البلاد وغربها، في شمالها وجنوبها، على نفس المستوى من التجنيد والوعي والحرص.

إنه بحق خير خلف لخير سلف، وفي لذكرة أسلافه وسبعينهم الوطنية الثائرة، ينتفض حفاظا على بلاده وفي كل مرة يحس فيها أن الجمهورية بحاجة إليه، متمسكا بحبل عصمه، بيان أول نوفمبر 1954.

إن احتفالنا اليوم بمجازر الثامن ماي 1945 هو لحظة تأمل يجدر بكل منا الوقوف عندها لنعرف أن الحرية في الجزائر هي قبل كل شيء مسؤولية تاريخية، وهي مكسب يزن التضحيات الجسام لآبائنا وأمهاتنا الذين جعلوه ممكنا.

إن الوفاء لتضحياتهم يجب أن نضعه نصب أعيننا، وسلامة بلادنا واستقرارها، الهدف الأساسي الذي يحدونا، لأن لا حرية ولا استقلال ولا تنمية ولا رفاهية ولا ديمقراطية في ضل الفوضى واللا إستقرار.

إننااليوم محل نظر العالم ومختلف المخابر، مصدر إعجاب لكن أيضا مصدر تعجب واستغراب، فما كان متوقعا لم يحصل، ومسارنا غير ذلك الذي توقعه الحسابات، فحرارتنا باسم الثغر، متواصل غير منفصل، وجيشنا بيض الأيدي، فليس من حقنا أن نسمح بجعل بلادنا ميدان تجارب ولا من شعبنا عينة اختبار.

إن الجزائر بنيت انطلاقا من عمقها، في قراها ومداشرها، قبل أن تعمر في مدنها وعاصمتها، وكذلك الأمر الآن ستواصل مسيرها انطلاقا من نفس تلك القرى والمداشر فثمة عمقها الحقيقي، لذلك فعلى أطراها المحلية العاملة ومنتخبها أن يكونوا على شاكلة أسلافهم، حريين بتحقيق انطلاقتها الحقيقية وتوثيق رباطهم مع مختلف أطياف الشعب.

إننا خدام هذا الشعب، وخدمته شرف لنا لا ندعى السبق فيه، نحسب أنفسنا مخلصي النية في ذلك، وكذلك كل إطارات الدولة العاملين الذين يرفعون لواء استمرارية الدولة في ظرف دقيق ولا يرقبون في ذلك جزاء ولا شكورا.

إنني إذ أهنيكم بهذه المناسبة الوطنية المتميزة، أهيب بكم في آخر رسالتي أن تكونوا في مستوى ثقة الشعب وتطلعته، وأن تكونوا الأقرب منه، كان الله لكم عونا، ولشعبنا الأبي خير دليل، رمضان مبارك، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.